حول قضايا لغوية معينة[1]

جواب الى الرفيق ا. كراشنينكوفا

بقلم: جوزيف ستالين

مكتبة الشيوعيين العرب

https://sites.google.com/site/arcommunistslibrary

نسخه للإنترنت الصوت الشيوعي

http://sites.google.com/site/communistvoice

communistvoice@disroot.org

1 - المصدر: جوزيف ستالين، كراس "الماركسية وقضايا علم اللغة"، الطبعة العربية، المكتبة الاشتراكية، دار دمشق للطباعة والنشر، ترجمة حنا عبود، ص.ص. 43 – 53.

أيها الرفيق كراشنينكوفا

ها انا أجيب عن اسئلتك.

1 – سؤال: يوضح مقالك، بشكل مقنع، أن اللغة ليست بناء تحتيا، كما أنها ليست بناءً فوقيا. فهل يصح اعتبار اللغة ظاهرة تتصف بسمات البناءين: التحتي والفوقي، أو هل يكون من الأصح اذا اعتبرنا اللغة ظاهرة وسيطة؟

الجواب: بالطبع، ان سمة اللغة، باعتبارها ظاهرة اجتماعية، هي انها صفة مشتركة ملازمة لكل الظواهر الاجتماعية، بما فيها البناء التحتي والبناء الفوقي، وبالتحديد: انها تخدم المجتمع، تماما، كما تخدمه أية ظواهر اجتماعية أخرى، بما فيها البناء التحتي والبناء الفوقي. ولكن هذا، على وجه الخصوص، ينفي الصفة المشتركة الملازمة لكل الظواهر الاجتماعية. ووراء ذلك، تبدأ تمايزات هامة بين الظواهر الاجتماعية.

أقصد، أن للظواهر الاجتماعية، بالاضافة الى صفتها المشتركة، صفتها النوعية الخاصة التي تميز كل ظاهرة عن الاخرى، وللصفات النوعية هذه أهمية قصوى للعلم. والصفات النوعية للبناء التحتي تكمن في كل ما يخدم المجتمع بوسائل سياسية وقانونية وجمالية وغيرها من الافكار الاخرى، ويمده بالمؤسسات السياسية والقانونية وغيرها. اذن ما هي الصفات النوعية للغة التي تميزها عن غيرها من الظواهر الاجتماعية؟ تكمن هذه الصفات في أن اللغة تخدم المجتمع كوسيلة تعامل بين الناس، كوسيلة لتبادل الافكار في المجتمع، كوسيلة تمكن كل واحد من الناس ان يفهم الآخر، وتمكن من اتساق العمل المشترك في كل مجالات النشاط الانساني، في كل من مجالي الانتاج والعلاقات الاقتصادية، في كل من مجالي السياسة والثقافة، في كل من الحياة الاجتماعية والحياة اليومية. ان الصفات النوعية هذه تتصف بها،

بالضبط، تعتبر اللغة موضوع دراسة علم مستقل هو علم اللغة. ولو لم يكن ثمة صفات نوعية للغة، لفقد علم اللغة حقه، أن يكون له وجود مستقل.

وباختصار: لا يمكن تصنيف اللغة في مرتبة البناء التحتي أو في مرتبة البناء الفوقي.

ولا يمكن وضعها في مرتبة الظواهر «الوسيطة» بين البناء التحتي والبناء الفوقي، لأن مثل هذه الظواهر «الوسيطة» ليس لها وجود.

ولكن، هل يمكن وضع اللغة في مرتبة القوى المنتجة للمجتمع، ولنقل، في مرتبة ادوات الانتاج؟ في الواقع، ثمة تشابه واضح بين اللغة وادوات الانتاج: فادوات الانتاج تعلن، تماما كاللغة، نوعا من الحياد تجاه الطبقات، ويمكنها أن تخدم، على قدم المساواة، طبقات المجتمع المختلفة، قديمها وحديثها. هل يقدم هذا المقال قاعدة لتصنيف اللغة في مرتبة ادوات الانتاج؟ كلا.

في وقت ما، بعد أن رأى ن. ي. مار أن صيغته - «اللغة هي بناء فوقي يقوم على بناء تحتي» - قوبلت بالمعارضة، قرر ان «يعيد صياغتها» فاعلن ان اللغة هي أداة «انتاج». فهل كان ن. ي. مار مصيبا في وضع اللغة في مرتبة ادوات الانتاج؟ كلا. بالتأكيد.

القضية هي أن التماثل بين اللغة وادوات الانتاج ينتهي عند التشابه الذي أشرت اليه سابقا. ولكن من الناحية الاخرى، يوجد خلاف جذري بين اللغة وادوات الانتاج. وهذا الخلاف يكمن في واقع انه حيث أن أدوات الانتاج تقدم الثروة المادية، لا تقدم اللغة شيئا، او تقدم «الكلمات» فقط. ولنضع القضية ببساطة اكثر، ان الشعب الذي يملك أدوات انتاج يمكنه ان ينتج الثروة المادية، ولكن هذا الشعب نفسه لن يتمكن من انتاج الثروة المادية اذا كان يملك لغة ولا يملك ادوات انتاج. وليس من العسير ان نرى انه لو كانت اللغة قادرة على انتاج الثروة المادية، لكان الثرثارون اغنى الناس على ظهر البسيطة.

2 – سؤال: يعرف ماركس وانجلز اللغة بأنها «الواقع المباشر للفكر» وأنها «الوعي العملي ... الفعلي». ويقول ماركس «لا يمكن للافكار أن توجد منفصلة

عن اللغة». فالى أي مدى، في رأيك، يشغل علم اللغة نفسه بالمظهر السيمانتيمي[2] للغة، بعلم معاني ماهية الكلمة[3]، بعلم ثغور المعاني تاريخيا[4] بعلم الاساليب؟ أو انه يؤلف بنفسه موضوع علم اللغة؟

الجواب: ان السيمانتيم هو فرع من أهم فروع علم اللغة. والمظهر السيمانتيمي للكلمات والتعابير ذو أهمية كبرى في دراسة اللغة. لذا يجب ان يحتل السيمانتيم مكانا مرموقا في علم اللغة.

وعلى أية حال، يجب لدى العمل في قضايا السيمانتيم واستخدام معطياتها ألا نوليها أهمية فوق ما تستحق وألا نفرط فيها. انني اذكر بعض فقهاء اللغة الذين، وقد شحنوا حماسة، لا يعتبرون اللغة «الواقع المباشر للفكر» التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالفكر، يفضلون التفكير عن اللغة، ويزعمون ان اللغة أطول منه عمرا وانه يمكن ان يعمل بدون اللغة.

فلنسمع ما يقول ن. ي. مار:

«توجد اللغة فقط عندما يعبر عنها بالاصوات، وتحدث عملية التفكير بدون ان يعبر عنها بالاصوات ... شرعت اللغة (الكلامية) تخضع وظائفها للمكتشفات الاخيرة التي بدأت كما هو واضح، تغزو الفضاء، بينما يبقى الفكر في درجة أعلى، بعيدا عن تراكمه غير المجدي في الماضي ومكتسباته الجديدة، وقد طرح اللغة جانبا وحل محلها تماما. ان لغة المستقبل هي التفكير الذي سوف يتطور في التكنيك متحررا من المادة الطبيعية. ولا توجد لغة، حتى اللغة الكلامية، التي هي، على حد

---

2 - Semantic Aspect

3 - Semantics

4 - Historical Semasiology. ان السيمانتيم هو علم دوال الماهية ففي قولك «ركض الرجل» دالتان على الماهية: ماهية «الركض» وماهية «الرجل» وعلى هذا يمكن ان نقول ان السيمانتيم هو علم ماهية المعاني وتغيرها (نزح نزف نزل ...) وعلاقتها بالبيئة الاجتماعية. ان العلم الذي يدرس اسناد ماهية الى اخرى فهو المورفيم Morpheme أو علم دوال النسبة وللتوسع في هذين المصطلحين ارجع الى كتاب «اللغة» ج. فندريس ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص: الجزء الثاني الفصل الاول «التفرقة بين دوال النسبة ودوال الماهية» (المترجم).

سواء، ترتبط بقواعد الطبيعة، سوف تكون قادرة على مقاومة الطبيعة». (انظر المؤلفات المختارة لـ «ن. ي. مار»).

لو شرحنا هذه الرطانة (السحرية) بلغة انسانية بسيطة، لأمكن رسم النتيجة التالية:

آ – يفصل مار بين التفكير واللغة.

ب – يعتبر ان الاختلاط بين الناس يمكن أن يتحقق دون لغة، بل يتحقق بمساعدة التفكير نفسه، الطليق من «المادة الطبيعية» للغة، الطليق من «قواعد الطبيعة».

ان ن. ي. مار يقع في مستنقع المثالية عندما يفصل التفكير عن اللغة و«يحرره» من «المادة الطبيعية» للغة.

قيل ان الافكار تظهر في عقل الانسان قبل أن يعبر عنها بالكلام، أي أنها تظهر بدون مادة لغوية، بدون غلاف لغوي، أي بشكل عارٍ. بيد أن هذا خطأ محض. فمهما كانت الافكار التي تظهر في العقل البشري، ومهما كانت لحظة الظهور، فانها لا يمكن أن تظهر او أن توجد الا على أساس المادة اللغوية، على أساس الجمل والعبارات اللغوية. ولا وجود للافكار العارية الطليقة من المادة اللغوية. الطليقة من «المادة الطبيعية» للغة. «اللغة هي الواقع المباشر للفكر» (ماركس). ان واقع الفكر يتجلى في اللغة. ان المثاليين وحدهم يتحدثون عن التفكير غير المرتبط بـ «المادة الطبيعية» للغة، يتحدثون عن التفكير بدون لغة.

وباختصار: ان المبالغة في تقدير علم معاني ماهية الكلمة (Semantics) والافراط فيها قاد ن. ي. مار الى المثالية.

وبالتالي اذا صين السيمانتيم (علم معاني ماهية الكلمة) من المبالغات والتعسفات من النوع الذي اقترفه ن. ي. مار وبعض «تلامذته» يمكن للسيمانتيم ان يكون ذا فائدة جمة لعلم اللغة.

3 – سؤال: لقد قلت، وانت محق تماما، ان الافكار والمفاهيم والعادات والمبادىء الاخلاقية للبرجوازية وتلك التي للبروليتاريا تختلف اختلافا مباشرا. وتنعكس، بالتأكيد، الصفة الطبقية لهذه الظواهر في سيمانتيم اللغة (علم معاني اللغة) (واحيانا

في شكله وهو المعجم، كما اشرت مصيبا في مقالتك). فهل يمكن، في تحليل المادة اللغوية المحسوسة، وفي الدرجة الاولى المظهر السيمانتيمي للغة، ان نتحدث عن الجوهر الطبقي للمفاهيم المعبر عنها بلغة، وبخاصة في تلك الحالات التي تعبر فيها اللغة ليس عن فكر الانسان فحسب، وانما ايضا عن موقفه من الواقع، حيث تظهر علاقته الطبقية نفسها بجلاء خاص؟

الجواب: اذا وضعنا سؤالك بشكل اكثر اختصارا، قلنا انك تريد ان تعرف ما اذا كانت الطبقات تؤثر في اللغة، ما اذا كانت الطبقات تدخل الى اللغة كلماتها وتعابيرها النوعية، ما اذا كان الناس يلصقون معنى مختلفا الى الكلمة الواحدة نفسها او التعبير الواحد نفسه، معتمدين في ذلك على علاقتهم الطبقية؟

نعم. ان الطبقات تؤثر في اللغة، تدخل اليها كلماتها وتعابيرها النوعية الخاصة، واحيانا يفهمون التعبير او الكلمة الواحدة نفسها بشكل مختلف. لا شك في ذلك.

وعلى أية حال، لا ينتج عن ذلك، كما هو الاختلاف في السيمانتيم، أن التعابير والكلمات النوعية يمكن أن تكون ذات أهمية جدية بالنسبة لتطور اللغة الواحدة المشتركة بين الناس، بحيث تكون قادرة على الحط من أهميتها او من تغيير صفتها.

أولا: مثل هذه التعابير والكلمات النوعية، كما هي حالات الاختلاف في السيمانتيم «علم المعاني»، قليلة في اللغة بحيث لا تشكل اكثر من واحد في المئة من مجموع المادة اللغوية. وبالتالي، ان كل ما يبقى من التعابير والكلمات السائدة، كما هو الحال في سيمانتيمها، هي مشتركة بين كل طبقات المجتمع.

ثانيا: ان التعابير والكلمات النوعية ذات اللون الطبقي، تستعمل في الكلام ليس طبقا لاحكام قواعد «طبقية»، لا وجود لها، وانما طبقا لاحكام قواعد اللغة القائمة المشتركة بين كل الناس.

اذن، ان وجود تعابير وكلمات نوعية، وواقع الاختلافات في السيمانتيم اللغوي، لا ينفي، بل على العكس، يؤكد وجود لغة واحدة مشتركة لكل الشعب ويؤكد ضرورتها.

4 – سؤال: في مقالتك، كنت محقا في وصفك ن. ي. مار أنه مبتذل الماركسية. فهل يعني هذا ان اللغويين، بمن فيهم نحن المحدثين، يجب ان يرفضوا كل التراث اللغوي لـ ن. ي. مار، بما في ذلك تلك الابحاث اللغوية القيمة التي كتبها (وقد أشار الرفيق شيكوبافا والرفيق سانجييف وغيرهما الى هذه الابحاث اثناء المناقشة)؟ وبعد تقييم ن. ي. مار نقديا، أليس في مقدورنا أن نأخذ منه ما هو مفيد وقيم؟

الجواب: طبعا. ان كتب ن. ي. مار لا تتألف من أخطاء فقط. لقد اقترف مار اخطاء فظة عندما تناول العناصر اللغوية للماركسية بشكل مشوه، عندما حاول أن يخلق نظرية لغوية مستقلة. ولكن له بعض المؤلفات الجيدة الذكية، التي، بعد أن تناسى ادعاءاته النظرية، تحدث فيها، والحق يقال، بحذق ووعي عن اللغات المستقلة. في هذه المؤلفات يمكن للمرء أن يجد أشياء كثيرة بناءة وقيمة. وواضح أن مثل هذه الاشياء القيمة والبناءة يجب ان تؤخذ من ن. ي. مار ويستفاد منها.

5 – سؤال: عدة لغويين يعتبرون «الشكلية» احد الاسباب الرئيسية في ركود علم اللغة السوفييتي. ونود جدا أن نعرف رأيك عن الشكلية في علم اللغة: مم تتكون وكيف نتغلب عليها؟

الجواب: ان ن. ي. مار و «تلامذته» يتهمون كل علماء اللغة الذين لا يوافقون على «المذهب الجديد» لـ (ن. ي. مار) بـ «الشكلية». ان هذا، بالطبع، لا يدل على ذكاء ولا على جدية.

اعتبر ن. ي. مار أن القواعد عبارة عن «شكلية» جوفاء، والذين يرون في نظام القواعد أساسا للغة اعتبرهم شكليين. وهذا أيضا وأيضا غباء.

اعتقد أن «الشكلية» فرية اختلقها مؤلفو «المذهب الجديد» ليسهلوا عملية نضالهم ضد أعدائهم من اللغويين.

ان سبب ركود علم اللغة السوفييتي ليس «الشكلية» التي اختلقها ن. ي. مار و «تلامذته»، وانما نظام أراكشييف والثغرات النظرية في علم اللغة. وقد أقام «تلامذة» ن. ي. مار نظام اراكشييف. والتشويش النظري أدخله الى علم اللغة ن. ي. مار وزملاؤه المقربون. ولنضع حدا لهذا الركود يجب أن ننتهي من الاثنين:

الاول والثاني. ان استئصال هذه البؤر الوبائية سيقيم علم اللغة السوفييتي على اساس متين، وسيقوده في طريق عريضة ويمكنه من احتلال المكان الاول في علم اللغة العالمي.

29 حزيران 1950

البرافدا 4 تموز 1950